

الاتجاهات الحديثة في الدراسات
حول الكوميديا الإغريقية الوسطى والحديثة
خلال العقدين الأخيرين

(بحث غير منشور)

إعداد

د. عادل سعيد النحاس

قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

كلية الآداب – جامعة القاهرة

2004

الاتجاهات الحديثة في الدراسات
حول الكوميديا الإغريقية الوسطى والحديثة
(خلال العقدين الأخيرين)

عُرف التقسيم الثلاثي للكوميديا الإغريقية (قديمة *παλαιά* - وسطى *μέση* - حديثة *νέα*) بواسطة علماء النحو في فترة حكم الإمبراطور هادريان (منتصف القرن الثاني الميلادي) ، تحت تأثير آراء المدرسة المشائية المتأخرة وعلماء الإسكندرية ، وكان أرسطو قد قسم الكوميديا في البداية إلى " كوميديا الأقدمين وكوميديا المحدثين " ^(١)

ἐκ τῶν κωμωδιῶν τῶν παλαιῶν καὶ τῶν καινῶν.

أما أثيناؤوس ^(٢) فيحدثنا عن " الكوميديا المسماة بالوسطى "

τῆς μέσης καλουμένης κωμωδίας.

ويرى كاسبو ^(٣) E. Caspo أن ما ذكره أرسطو في " الأخلاق النيكوماخية " *Ἠθικὰ Νικομάχεια* ' يعد تقسيماً من حيث الأسلوب وليس النوع للتمييز بين أسلوب الكتابة في الكوميديا القديمة *παλαιά* والكوميديا الأقرب عهداً *καινή* ، ومن المؤكد أن أرسطو كان يقصد بذلك ما نطلق عليه الآن الكوميديا الوسطى *μέση* ^(٤) . ويرجع التمييز بين الكوميديا القديمة وما بعدها إلى : أنها الأكثر تناولاً للموضوعات السياسية ، الأكثر جرأة في النقد وفي توجيه السباب ، الأكثر قدرة على توجيه النصح الأخلاقي .

وفي الآونة الأخيرة ازداد اهتمام الباحثين بتقديم دراسات حديثة حول الكوميديا الإغريقية ، وبخاصة الحديثة ، يطرحون من خلالها العديد من الأفكار والرؤى الجديدة التي تعتمد على النظرة الدقيقة والمتفحصة للعمل المسرحي ، مما يساعد على وضوح الصورة لدى قارئ المسرحية من خلال فهم أسلوب المؤلف في كيفية التأليف المسرحي. وسوف نتناول بالبحث أهم ما ظهر من اتجاهات حديثة في الدراسات حول الكوميديا الوسطى والكوميديا الحديثة .

أولاً : الكوميديا الوسطى :

على الرغم من صعوبة تحديد عام بعينه كبداية لظهور أو اندثار أي شكل أدبي، إلا أن بعض النحاة المتأخرين قد حددوا الفترة الزمنية للكوميديا الوسطى بالأعوام من ٤٠٤ ق.م حتى عام ٣٣٨ ق.م . ومن اللافت للنظر أنهم قد أَرَّحوا بداية ظهور الكوميديا الوسطى بذلك العام الذي تلقى فيه الأثينيون هزيمة نكراء على يد الإسبرطيين في موقعة " آيجوس بوتاموي " Αἴγος Ποταμοί . تلك الهزيمة التي أَلقت بظلالها على الأثينيين وعلى نظامهم الديمقراطي الذي كانوا يفخرون به ، كما كان لها أثرها البالغ في حياتهم الاقتصادية ، حيث أدت الهزيمة إلى العديد من النتائج سيئة الأثر في المجتمع الأثيني ككل : كانتشار البطالة ، وعلو شأن الطبقة المتوسطة ، وازدياد فقر الفقراء ... وغيرها . ومنذ ذلك الحين دب الصراع السياسي بين القادة الأثينيين ، وتفككت أواصر العلاقات الاجتماعية والأسرية، كما تغيرت مفاهيمهم الفكرية والثقافية ، وكذلك نظرتهم للآلهة ، حيث تدنت مكانتها في نفوس الأثينيين ، كما فقدوا الثقة بها^(١) .

وهكذا أصبحت كل الظروف مهياًة لحدوث ذلك التحول في الكوميديا الأتيكية وظهور الكوميديا الوسطى بسماتها الجديدة وخصائصها المختلفة ، فقد أصبح القرن الرابع ق.م زمن الارتباط بالواقعية ، ولم يعد المجال خصباً لاستخدام العنصر الخيالي .

ولقد حققت الكوميديا الأتيكية في تلك الفترة نجاحاً كبيراً واكتسبت شهرة واسعة ورواجاً هائلاً في مختلف أرجاء بلاد اليونان ، لذلك أصبح النجاح في أثينا مطلباً سعى إليه وحققه العديد من الشعراء من شتي البقاع^(٢) . تميزت الكوميديا الوسطى بغزارة إنتاجها حتى بلغ عدد مسرحياتها ستمائة وسبع عشرة

مسرحية ، طبقاً لإحدى الروايات ، أما أنتيفانيس فيذكر أنها بلغت أكثر من ثمانمائة مسرحية^(١) . وعلى الرغم من ذلك فلم تحظ الكوميديا الوسطى بالقدر الكافي والمناسب من اهتمام النقاد والباحثين المحدثين ، وربما كان ذلك لسببين رئيسيين :

أولاً : أن تلك الفترة تمثل مرحلة وسط تتغير فيها طبيعة الكوميديا وخصائصها عما كانت عليه في الكوميديا القديمة بشكلها الكلاسيكي ، إلى أن اكتملت عناصرها وخصائصها الجديدة التي تمثلت بعد ذلك في الكوميديا الحديثة .

ثانياً : لعدم وجود مسرحية واحدة من مسرحيات تلك الفترة مكتملة ، حيث إن ما وصلنا هو مجرد شذرات متفرقة من كل مسرحية فيما عدا مسرحيتي أرسطوفانيس "الثروة" Πλοῦτος و "برلمان النساء" Ἐκκλησιάζουσαι .

وفي عام (١٩٣١) وصف العالم نوروود^(٢) G. Norwood الكوميديا الوسطى بالصحراء القفر التي تفصل بين المدينة والريف ؛ ومن الغريب أنها بعد أكثر من سبعين عاما مازالت بالنسبة لنا قفراً ، ولذلك فليس مستغرباً ألا تنال القدر الكافي من اهتمام الدارسين والباحثين حيث تقتصر معظم دراساتهم في مجال الكوميديا الوسطى على تحليل تلك الشذرات المتبقية في محاولة منهم لاستنباط واستنتاج سماتها وخصائصها الجديدة .

وقد ظهر اتجاهان متوازيان في الدراسات الحديثة حول الكوميديا الوسطى ، الأول : ويعني بتقديم دراسات تحليلية متخصصة تدور حول أحد شعراء الكوميديا الوسطى يستعرض المؤلف من خلاله كل ما كتب عن هذا الشاعر ، ثم يقوم بعرض وتحليل الشذرات المتبقية من أعماله مع التعليق عليها ، من ذلك تلك الدراسة الشاملة التي قدمها هانتر R. L. Hunter عن الشاعر يوبولوس Εὐβουλος ، فقام بنشر جميع الشذرات المتبقية من مسرحياته وتحليلها في مؤلف صدر له في عام (١٩٨٣) في (٢٦٠) صفحة^(٣) .

يقدم هانتر في بداية هذا المؤلف نبذة عن يوبولوس وعن أهم السمات المميزة لكتاباتة ، ويبدأ بتعريف معجم سويداس بالشاعر، فيقول : " هو يوبولوس بن يوفرانور ، أثيني من حي كيتيوس ، شاعر كوميدي ، قدم مائة وأربع مسرحية ، وقد تفوق في الفترة الأوليمبية رقم ١٠١ (الأعوام ٣٧٦ - ٣٧٣ ق.م) ، وينتمي إلى الفترة ما بين الكوميديا الوسطى والقديمة" .

Εὐβουλος· Κήττιος, ' Αθηναῖος, υἱὸς Εὐφράνορος, κωμικός.
ἐδίδαξε δράματα ρδ'. ἦν δὲ κατὰ τὴν ρά' Ὀλυμπιάδα,
μεθόριος τῆς μέσης κωμωδίας καὶ τῆς παλαιᾶς [ε 3386].

حصل يوبولوس على العديد من الجوائز في احتفالات اللينايا كان أولها في عام ٣٧٠ ق.م ، كما حصل على الجائزة الأولى في احتفالات الديونيسيا التي تزامنت مع الفترة الأوليمبية رقم ١٠١ ؛ ولكن من الغريب أن يصفه سويداس بأنه شاعر قد زامن الكوميديا الوسطى والقديمة معا . لم يتبق من مسرحياته سوى سبعة وخمسين عنوان مسرحية وعدد من الشذرات يصل إلى مائة وثمان عشرة شذرة . ولقد أظهرت شذرات الكوميديا الوسطى أنه الأعلى نسبة بين أقرانه في استخدام البحور الثلاثية التي تحتوي على أقدام إيامية (٤٧% في مقابل ٤٣% لأناكساندريدس) . وتظهر براعته في استخدام هذا البحر في شذرة (٧٥) من مسرحية " العفريت " Ὀρθάνης ' ، حيث يقول :

فكل امرأة جميلة

ترغب في تناول طعامها (بمصاحبة)

فتوة الحانة .

πᾱ/σα δ' εὐ/μορφος / γυνή

ἐρω̄/σα φοι/ταῖ τη/γάνων / τε σύν/τροφα

τριβαλ/λο<πο>πανόθρε/πτα μεῖ/ρακύλ/λιᾶ

تحمل العديد من مسرحيات يوبولوس أسماءً أسطورية أو تعالج موضوعات تتعلق بالأسطورة (حوالي ثمان وعشرين مسرحية من إجمالي سبع وخمسين) ، يمكننا التعرف على مضمونها من خلال عناوينها ، ثم يقوم هانتر بعد ذلك بتحليل تلك الشذرات والتعليق عليها.

وفي نفس هذا الاتجاه قدم العالم جيفري آرنوت W.G. Arnott في مؤلف صدر له في عام (١٩٩٦) دراسة مماثلة عن الشاعر أليكسيس Ἀλεξίς في (١٠٠٢) صفحة^(١) يستعرض من خلالها

كل شذراته المحققة (وعدها مائتان واثنين وستون شذرة في ما يقرب من مائتين وخمسة وأربعين مسرحية)، وكذلك الشذرات المنتحلة والمشكوك في نسبتها لأليكسيس ؛ ثم يقوم بتقديم الشروح والتعليقات عليها . ويبدأ آرنوت مؤلفه أيضا بتقديم نبذة عن أليكسيس من خلال معجم سويداس الذي يقول : " هو أليكسيس من ثوري ----- شاعر كوميدي ، قدم مائتين وخمسة وأربعين مسرحية ، و عمه هو شاعر الكوميديا مناندروس ، وله ولد يدعى ستيفانوس ، وهو الآخر شاعر كوميدي".

Ἄλεξις Θούριος, ---- κωμικός, ἐδίδαξε δράματα σμ᾽. γέγονε
δὲ πάτρως Μενάνδρου τοῦ κωμικοῦ [ἔσχε δὲ υἷον Στέφανον,
καὶ αὐτὸν κωμικόν [α 1138].

ويعد الرقم الذي ذكره سويداس لعدد المسرحيات التي قدمها أليكسيس (مائتان وخمسة وأربعون مسرحية) رقماً مبالغاً فيه بعض الشيء بالنسبة لشاعر واحد ، ولكن ربما يتضمن المسرحيات التي قام بإخراجها أيضاً أو مسرحيات لشعراء آخرين قدمت باسمه أو مسرحيات أعيد تقديمها بأسماء أخرى . وربما لأنه قد عمر طويلاً ، فقد عاش في الفترة من 350-270 ق.م ومات عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، أي أنه عاصر الكوميديا الوسطى والحديثة معاً⁽¹⁾ .

برزت في مسرحيات أليكسيس العديد من الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في الكوميديا الحديثة، كشخصية الجندي ، ويلاحظ أن ثلاثة من أسماء مسرحياته تشير إلى جنود : "الجندي" **Στρατιώτης** ، "الفارس" **Ἰππεύς** ، "ثراسون" **Θράσων** ، وهو اسم يطلق على الجندي المتفاجر ؛ كما برزت أيضاً شخصية العشيق ، حيث تحمل ست من مسرحياته أسماء عشيقات : "المشاكسة" **Ἀγωνίς** ، "جراب النقود" **Δορκίς** ، "المعتدلة" **Ἰσοστάσιον** ، "الناضجة" **Ὀπώρα** ، "المرجلة" **Πεζονίκη** ، "واسعة الشهرة" **Πολύκλεια** ؛ وربما أيضاً : "البلسم" **Ἰασίς** ، "منظمة العرض" **Χορηγίς** ؛ بالإضافة إلى العديد من المسرحيات التي تحمل أسماء أصحاب المهن المختلفة ، مثل : "عاصر (أو معد) الخمر" **Ἀμπελουργός** ، "عازف القيثارة" **Κιθαρωδός** ، "الشاعر" **Ποιητής** ، "عازفة الناي" **Ἀύλητρίς** . ولكننا لا نعرف إلى أي مدى تعكس هذه العناوين اهتمام شعراء تلك الفترة بالحرف اليومية . وليس من المستغرب أن تتضمن مسرحيات أليكسيس العديد من سمات الكوميديا الحديثة فقد عاصرها ما يقرب من الخمسين عاماً . ولكن عدم وجود أي من مسرحياته كاملة يحول دون التحقق من ذلك . وربما كان لصلة القرابة التي تجمع

بينه وبين مناندروس ، واحتمال تعلم الأخير على يديه ، أثر كبير في وجود العديد من التشابهات بين مسرحياتهما ، مثال ذلك شذرة (٢١٩ ، الأبيات ١٠-١١) من مسرحية "أهل تارانتون" *Tarantini* لأليكسيس ، التي يؤرخ لها بالفترة من ٣٤٥-٣٢٠ ، وشذرة (٤١٦ ، الأبيات ٨-١٠) من مسرحية " الابن السفاح-اللقيط " *Υποβολιμαίος* لمناندروس^(١) .

وقد قُدمت بعض رسائل الدكتوراة التي سارت على نهج ما قدمه هانتر ثم آرنوت بعد ذلك ، ومنها رسالة الدكتوراة التي قدمها الزميل الراحل د. محمد جبارة عن فيليمون شاعر الكوميديا الحديثة ، بعنوان : " فيليمون شاعر الكوميديا"^(٢) *ὁ Κομικός Ποιητὴς Φιλέμων* ، والتي حصل بها على درجة الدكتوراه في الأدب اليوناني من جامعة "يونانينا" *Ιωάννινα* باليونان عام (١٩٨٦) ، يتعرض فيها لحياة الشاعر ويحلل كل ما وصل عنه من شذرات .

كما كانت الرسالة التي حصلت بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام (١٩٩٥) تسيير على نفس المنهج ، وكانت بعنوان : " أناكساندريدس شاعر الكوميديا الوسطى ، دراسة تحليلية لشذراته المتبقية " .

السمات الجديدة للكوميديا الوسطى :

ومن ناحية أخرى اهتم الباحثون بتقديم دراسات تحليلية متخصصة عن بعض السمات الجديدة للكوميديا الوسطى ، محاولين فيها تحديد أهم الخصائص التي ميزتها عن الكوميديا القديمة . فقد أصبح الفرق كبيراً بين الكوميديا القديمة والكوميديا الوسطى من حيث الشكل والمضمون . فمن ناحية اختفت بعض العناصر أو تغيرت وظيفتها ، ومن ناحية أخرى أصبح التركيز على الإنسان وعلاقاته في محيط الأسرة والأصدقاء الموضوع الرئيسي لمسرحيات الكوميديا الوسطى ثم الحديثة ، وبينما كان الإنسان في الكوميديا القديمة "حيواناً سياسياً" أصبح في الكوميديا الوسطى "حيواناً اجتماعياً"^(٣) .

وعلى الرغم من اختلاف كاسيو^(٤) مع الرأي السائد بأن أرسطوفانيس هو الذي وضع اللبنة الأولى للكوميديا الوسطى ، كما يرى أن المعجبين بأرسطوفانيس هم الذين وضعوه في مصاف الرواد المبتكرين ، ولم يدركوا - من وجهة نظره - أنه قد قاد هذا النوع الأدبي إلى الانحدار ، وبخاصة أنه كان في تلك

-١

-٢

-٣

-٤

الفترة طاعنا في السن ومتعباً ، وأيضاً مخيباً للآمال ؛ فقد كانت تعوزه في مسرحيته الأخيرتين الحيوية والنشاط وكذلك الرغبة في تقديم الجديد في كتاباته ، وأنهما كانتا نتاج موهبة أصبحت مفقودة ، وقد آثر في نهاية حياته الانسحاب من معترك السياسة ، كما لم تعد تلميحاته وإشارات في نفس حدة الأيام الخوالي. إلا أن مسرحيتي "الثروة" Πλούτος و "برلمان النساء" Εκκλησιάζουσαι اللتين تنتميان من حيث الخصائص الفنية للكوميديا الوسطى هما خير مثال على ذلك التحول الذي طرأ على الكوميديا، فقد كانتا البداية الحقيقية للكوميديا الوسطى حيث تظهر فيهما السمات الجديدة للكوميديا التي توضح أن مسرحياتها تختلف في الشكل والمضمون عن مسرحيات الكوميديا القديمة . ومن أهم هذه السمات^(١) :

١. اختفاء الباراباسيس παράβασις "أغنية الدخول" .

٢. تقلص حجم المشهد الجدلي ἄγων .

٣. انحسار دور الجوقة χορός .

٤. الاهتمام بالشخصيات الثانوية .

ومن بين هذه السمات سنقوم بالتركيز على سمتين كان لهما دور كبير في تغيير شكل ومضمون الكوميديا في القرن الرابع ق.م. الأولى : هي انحسار دور الجوقة وسوف نتعرض للحديث عنها لاحقاً . أثناء الحديث عن الكوميديا الحديثة ، أما الثانية فهي ازدياد الاهتمام بالشخصيات الثانوية.

الاهتمام بالشخصيات الثانوية:

في دراسة متخصصة هي الأولى من نوعها في مجال الكوميديا الوسطى قدمت لنا السيدة إليزابيث كونستانتينيديس^(٢) رسالة دكتوراه عام (١٩٦٥) في (١٥١) صفحة عن الشخصيات التي ظهرت في الكوميديا الوسطى. توضح من خلالها اهتمام الشعراء بشخصيات الطبقة الوسطى في المجتمع الأثيني وتنامي الدور الذي أصبحت تلعبه في المسرحيات ، بعد أن كانت تلعب أدواراً ثانوية في مسرحيات أرسطوفانيس، وفي الوقت نفسه اهتمامهم ببعض الشخصيات السياسية المعاصرة .

في هذه الدراسة تقسم السيدة كونستانتينيديس الشخصيات إلى :

